المحاضرة الأولى : في ماهية نظرية الأدب و مفهومها

1 _ ماهية الأدب

إن الحديث عن نظرية الأدب يعني الحديث بداية عن الأدب ، فما هو الأدب ؟

إنّ البحث في ماهية الأدب سؤال إشكالي لطالما أرق العديد من الفلاسفة والدارسين الذين اشتغلوا على هذه المسألة البسيطة في ظاهرها المعقدة في جوهرها، فكانت الإشكالية هل الذي يميز الأدب اللفظ أم المعنى ، الصورة أم الإطار الجمالي ، الفكرة أم أسلوب العرض ؟ أو أن العمل الأدبي محاكاة فنية لفظية ؟ و إذا كان كذلك فما مفهوم المحاكاة و ما موضوعها ؟ هل هو محاكاة للظواهر الحسية أو للإنطباعات الذهنية أو لكليهما ؟و هناك من يقول بأن الأدب مرآة ، فهل هو مرآة للأشياء أم لعقل الأديب ، أم لنفسه ، أم مرآة للبيئة و للوسط و المحيط أم للمجتمع ؟

و هناك من يعرف الأدب بأنه صورة ؟ و إذا كان صورة ، هل هو صورة لفعل الشخصية أو صورة لحياة الأديب ، أم لانفعاله ، أم صورة من صور التعبير عن الخيال ، أم صورة للعلاقات الاجتماعية ؟

كل هذه التساؤلات تعكس مدى الخلافات و الصعوبات الناتجة عن محاولة الإجابة عن السؤال ما هو الأدب ؟ و قد يأخذ الدارس الأدبي برأي من تلك الآراء المتعددة ، لكنه في محاولته البرهنة على صحة الرأي تطرح عليه تساؤلات أخرى ، على سبيل التمثيل إذا أخذنا بالرأي القائل إن الأدب عبارة عن كتابة تخيّليةImaginative فهل يعني هذا أن كتب السيرة الذاتية و الرواية التاريخية ليست كتابات حقيقية ؟

هذا ، و إذا كان الأدب عبارة عن كتابة واقعية ، فماذا نقول بخصوص كتابات الكوميك و السوبرمان ؟

فإذا كان الأدب عبارة عن كتابة إبداعية ، فهل يعني هذا أن الفلسفة و التاريخ و العلوم الطبيعية غير إبداعية ؟

و خلافا لكل ماسبق ، هناك من يعرف الأدب من خلال أداته التي هي اللغة ، فالأدب فن لغوي فقط ، أو استخدام خاص للغة أي تغريب للغة (الشكلانيين الروس) ، بمعنى أنه منشأ من اللغة و لكنه مختلف عنها في كونه يقدم لنا السياقات العادية التي اعتدنا عليها في سياقات أخرى سياقات مغربة .

و إن من أهم محاولات الاجابة عن سؤال : ما هو الأدب ؟ هي تلك التي قام بها الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر و الانجليزي تيري إيغلتون

1 –**جون بول سارتر** :

و جميع هذه الأسئلة التي تعترض طريق الدارس الأدبي أو المتعامل مع الأدب ، تدور في قضايا ثلاث هي : الأدب ، و طبيعة الأدب ، و وظيفة الأدب ، أي مصدره و ماهيته و مهمته ، و لأن البحث في مثل هذه الضايا يتطلب من الدارس أن يحدد مواقفه من الإنسان و الحياة ، فالعمل الأدبي كإنتاج بشري و وثيقة إنسانية ، له علاقة مباشرة بالحياة كلها ، و بعبارة أخرى يكون البحث في تلك القضايا مبنيا على نظرية في المعرفة أو فلسفة محددة متكاملة ، و عندما يفعل الدارس هذا فإنه يجد نفسه في ميدان آخر بعيدا عن النقد الأدبي و تاريخ الأدب هو ميدان نظرية الأدب .

فما مفهوم نظرية الأدب ؟ و فيما تبحث ؟

2_ نشأة الأدب و طبيعته و وظيفته :

تبحث نظرية الأدب في أسئلة هامة و مثيرة مثل كيف نشأ الأدب ؟ و ما الأثر الذي يحدثه أو يتركه الأدب ؟ و هذه الأسئلة تثير أسئلة أخرى ذات علاقة من هو المؤلف ؟ و إذا كان للأدب أثر فلابد له أن يؤثر على أحد ما (القارئ / المتلقي) ، و هذا يؤدي إلى سؤال آخر من هو القارئ ؟

إذا تهتم نظرية الأدب بالبحث في نشأة الأدب ، و طبيعته ، ووظيفته ، و هي تدرس الظاهرة الأدبية بعامة من هذه الزوايا النشأة والطبيعة و الوظيفة و تعمل على التأسيس لمفاهيم عامة تبين حقيقة الأدب و آثاره و تعنى نظرية الأدب بمقومات الأدب في أي زمان أو مكان

فالبحث في نشأة الأدب يعني العلاقة القائمة بين الأديب و العمل الأدبي

أما البحث في طبيعة الأدب : يعني بيان جوهر الأعمال الأدبية أي خصائصها و سماتها العامة ، فالعمل الأدبي ليس موضوعا بسيطا ، بل هو بناء غاية في التركيب متعدد الأسطح متشعب المعاني و الارتباطات

و أخيرا البحث في وظيفة الأدب : و الذي يعني بيان العلاقة القائمة بين الأديب و جمهور القراء أي بيان أثر الأدب في المتلقين

هي أركان أساسية لوجود الأدب ، و إذا انتفى ركن من هذه الأركان انتفى وجود الأدب .

3_ نظرية و علاقتها بالنقد الأدبي و تاريخ الأدب :

يحدد **رينيه ويليك** مفهومه " للنظرية الأدب " بأنها دراسة مبادئ الأدب ، و تصنيفاته ، و مستوياته ، أما دراسة الأعمال الأدبية المحددة فتندرج تحت " النقد الأدبي " (و هو مدخل ستاتيكي للدراسة الأدبية) ، أو " التاريخ الأدبي " (الذي يدرس الأدب في حركته) . و هذه الأنظمة الثلاثة " النظرية الأدبية " و " النقد الأدبي " و " التاريخ الأدبي " في رأي ويليك متداخلة في بعضها " بحيث لا يمكن تصور " النظرية الأدبية " دون النقد و التاريخ . أو النقد دون النظرية الأدبية أو التاريخ ، أو تصور التاريخ دون النظرية الأدبية أو النقد

فالنظرية الأدبية :هي منظومة من المبادئ و القيم المستمدة من نقد الأعمال الأدبية المحددة ، و التي تستعين بالتاريخ الأدبي بصورة مستديمة و منتظمة و هي في ذلك تتخطى الحدود الجغرافية و الفواصل الزمنية .

أما النقد الأدبي : فإنه يقوم أساسا على مبدأ تقويم الأعمال الأدبية و الحكم عليها . فالعمل الأدبي هو أولا شيء ذو قيمة ، ووصف هذه القيمة هو في ذاته تقويم و حكم .

أما التاريخ الأدبي : فيهتم ببيان ظروف كتابة النص و صاحبه ، و المؤرخ الأدبي لابد له من مفاهيم عامة يستمدها من نظرية الأدب و من النقد لتمييز بين الأعمال الأدبية و غيرها.